2010-02-16
www.tafsir.org

دراسات قرآنية
٤

منهج المدرسة الأندلسية في التفسير

صفاته وخصائصه

تأليف
أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ ورئيس قسم الدراسات القرآنية
كلية المعلمين - بالرياض

مكتبة
التوبة

ⓒ مكتبة التوبة، ١٤١٧ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرومي، فهد عبد الرحمن

منهج المدرسة الأندلسية في التفسير: صفاته وخصائصه.ـ الرياض.

... ص؛ .. سم

ردمك ٦ ـ ٦ ـ ٩١٣٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ القرآن ـ تفسير أ ـ العنوان

ديوي ٢٢٧ ١٧/١٢٩٩

رقم الإيداع: ١٧/١٢٩٩

ردمك ٦ ـ ٦ ـ ٩١٣٠ ـ ٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م

عنوان المؤلف:

أ.د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

ص.ب. ١٥١٧٦ الرياض ١١٤٤٤

السعودية. هاتف: ٤٧٦٦٢٧٩

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد شرف الله هذه الأمة بنزول القرآن الكريم عليها فكانت خير أمة أخرجت للناس تأمر بأوامره وتنهى عن نواهيه.

وهو دستورها ونظامها وقوامها، به رفعتها وعزتها، وبه قوتها وعظمتها، فأقبلت عليه تلاوة وحفظاً وتفسيراً وعملاً، وأينما ساروا فهو أمامهم وإمامهم وأين اتجهوا فهو دليلهم، ما إن يفتحوا بلداً حتى ينشروه بين أهله، ويعلموهم إياه، ويفسروه لهم. هكذا كان شأنهم، وهكذا كان منهجهم.

فتحوا البلاد شرقاً وغرباً وصار المدعوون دعاة، وكلما فتحت بلاد شارك أهلها في فتح البلاد التي بعدها حتى وصلت الجيوش الإسلامية في فترة وجيزة إلى الصين شرقاً وإلى بلاد الأندلس غرباً.

ولم يكن إقبال من في أقصى المغرب بأقل من إقبال أهل المشرق.

فهذه الأندلس أقصى البلاد الإسلامية غرباً بلغهم القرآن فدرسوه

وتلوه، وحفظوه، وفسروه، فأعطوه من أعمارهم، وأعطاهم من هديه، فانكشف لهم من المعاني، وظهر لهم من المعارف، ما لم يظهر لغيرهم فذهبوا يكتبون ويدونون فإذا تفاسيرهم رائدة التفاسير.

فحق لهذا العلم ولهؤلاء العلماء أن يحتفل به وأن يحتفل بهم، ولئن ضاقت هذه العجالة عن استيعاب مزايا تفسيرهم، وقواعد منهجهم، فلن تضيق عن الإشارة إليها.

وما دام الأمر كذلك فقد كان عنوان هذا البحث:

منهج المدرسة الأندلسية في التفسير
صفاته وخصائصه

لم أقصد به الاستيفاء والشمول، ولا الاستقصاء والاستيعاب، وإنما ضرب المثل، وتقريب المعنى فذاك يحتاج إلى المجلدات الطوال، والمقام هنا مقام إيجاز واختصار.

أدعو الله تعالى أن ينفع بما كتبت وأن يجعله خالصاً لوجهه إنه سميع مجيب.

الباحث

أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي

المدرسة الأندلسية
في التفسير

تعريفها:

لم يكن فتح المسلمين للأندلس فتحاً لأرض وإنما كان فتحاً في العقيدة، فقد انتشرت القيم والمبادىء الإسلامية في تلك البلاد ودخل الناس في دين الله أفواجاً. لذا فقد كان أول عمل يقوم به المسلمون في البلاد المفتوحة هو بناء المسجد كما فعل عقبة بن نافع في أفريقية حين بني القيروان فكان أول شيء خطه فيها الجامع[1]، وأول شيء أقامه موسى بن نصير مسجد في الجزيرة الخضراء في الأندلس[2].

ولم يكن المسجد مكاناً للصلاة فحسب إذ كان يمتلىء بحلق التعليم بل كان جامعة ولا تزال مساجد في أفريقيا كذلك كالجامع الأزهر، وجامع الزيتونة، وجامع القيروان وكذلك كان الأمر في الأندلس فليس لأهل الأندلس ـ كما يقول المقري ـ مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤن جميع العلوم في المساجد[3]. ثم انتشرت المدارس والمعاهد وتوسعت المساجد في حلقاتها وانتشرت خزائن الكتب وأنشئت الجامعات في المدن الكبرى في الأندلس فكانت منارة العلم في أوروبا كلها زمناً طويلاً.

---

(١) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: أبو زيد عبد الرحمن الدباغ، ج١، ص١٠.
(٢) المرجع السابق: ج١ ص٧٣.
(٣) نفح الطيب: المَقَّرِيّ: ج١ ص٢٠٥.

وحين دخل الإسلام تلك البلاد دخلت معه العلوم الإسلامية بعد أن تجاوز بعضها أدوار النشأة في المشرق العربي، فقد استفاد الأندلسيون من مدارس التفسير المشهورة في المشرق (مدرسة ابن عباس ـ رضي الله عنهما)، (ومدرسة ابن مسعود ـ رضي الله عنه)، (ومدرسة أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه) كما استفادوا من كتب التفسير المشهورة في المشرق كتفسير الطبري والماوردي والزمخشري، ولهذا كان للتفاسير الأندلسية مكانة كبيرة.

وعليه فإن نشأة التفسير في الأندلس تختلف عن نشأته في المشرق، فنشأته في المشرق نشأة ولادة وتكوين، وأما في الأندلس فتلقي وإضافة.

وقد حدث اتصال وارتحال بين علماء التفسير في المشرق والمغرب والأندلس، فرحلت طائفة من المغرب إلى الأندلس كما رحل علماء من الأندلس إلى المشرق وحتى لا يحدث خلط بين هؤلا وهؤلاء، فإنا قد اعتبرنا من رجال المدرسة من اتصف بثلاث صفات:

١ ـ أن تكون ولادته في الأندلس.
٢ ـ أن ينشأ فيها فلا يرحل في صغره.
٣ ـ أن يكون تعليمه الأولي وثقافته الأولى على أرض الأندلس.

ولا يهمنا بعد ذلك أن يرحل من الأندلس بعد أن أصطبغ بصبغتها وتأثر بعلمائها والتزم منهجها، فأبو حيان تلقى ثقافته الأولى في الأندلس ونشأ فيها ثم رحل إلى مصروفيها كتب تفسيره (البحر المحيط) فلم يتأثر بالثقافة المصرية، بل حارب الصوفية وشنع على الفلاسفة وكان لهما انتشار في مصر حينذاك، وكذا القرطبي نشأ في الأندلس ثم رحل إلى المشرق ولكنه كتب تفسيره ملتزماً لمنهج المدرسة الأندلسية وبقي على مذهبه المالكي، وكان كثير الذكر لعلماء

الأندلس ويقول قال علماوءنا يعني الأندلسيين[1].

ولهذا ـ أيضاً ـ لم نعد من رحل إلى الأندلس أندلسيا، فمكي بن أبي طالب نشأ في القيروان ورحل إلى الأندلس وكتب فيها تفسيره فكان يذكر الإسرائيليات دون تعقيب أو نقد[2] مخالفاً منهج المدرسة الأندلسية.

أعلامها:

وبهذا التحديد نستطيع أن نحصر أعلام مدرسة الأندلس في التفسير، فهم ليسوا بالكثيرين[3] وإن كانوا في المقدمة وأشهرهم خمسة أو ستة:

١ ـ بقي بن مخلد.
٢ ـ أبو بكر بن العربي.
٣ ـ ابن عطية.
٤ ـ أبو عبد الله القرطبي.
٥ ـ ابن جُزَيّ الكلبي الغرناطي.
٦ ـ أبو حيان.

أما أولهم فلم يصلنا من تفسيره إلا أوراق قليلة لا تزال مخطوطة، أما البقية فقد وصلت إلينا كاملة وتمت طباعتها كلها، وفيما وصل إلينا من تفاسيرهم كفاية لتحديد معالم المنهج ورسم قواعد

---

(١) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر عبد الله، ج١ ص ز و ص١.
(٢) مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن: د. أحمد حسن فرحات، ص ٢٧٤.
(٣) وليسوا أيضاً بالقلة فقد وردت في كتب التراجم والطبقات أسماء كثيرة إلا أن مؤلفاتهم ضاعت أو أحرقت كغيرها من العلوم عند سقوط الأندلس حيث ارتكبت المذابح للمسلمين وأحرقت الكتب في حلقة من حلقات الحقد الصليبي.

المدرسة، وسنذكر تعريفاً سريعاً لأعلام هذه المدرسة الذين وصلت إلينا تفاسيرهم:

١ ـ أبو بكر بن العربي وتفسيره (أحكام القرآن):

هو: محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الأشبيلي المعروف بأبي بكر بن العربي، ولد في أشبيلية ليلة الخميس ٢٢/٨/٤٦٨ هـ.

كان أبوه من فقهاء أشبيلية وتلقى أبو بكر العلوم فيها وأتقن القراءات ثم انتقل إلى قرطبة، ولما بلغ السابعة عشر من عمره رحل مع والده إلى الحج وكانت رحلة في طلب العلم فاتصل بعدد من العلماء في بجاية والمهدية ومصر والشام وبغداد ومكة وعند عودته أقام في الإسكندرية وفيها توفي والده ثم عاد إلى أشبيلية واستغرقت رحلته عشر سنوات.

وفي أشبيلية أقبل عليه طلاب العلم وبدأ يلقى الدروس في المساجد حتى طارت شهرته وظهرت مؤلفاته وكثر تلاميذه، وتولى قضاء أشبيلية مع قيامه بالتدريس ثم انتقل إلى قرطبة ودَرّسَ فيها. وتوفي سنة ٥٤٣ هـ.

وكان رحمه الله تعالى مقدماً في المعارف متبحراً في العلوم حريصاً على نشرها إلا أنه كان حاد اللسان متعصباً لمذهبه المالكي، وقد ذكر الدكتور الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ أمثله على ذلك ثم قال: «فأنت ترى من هذه الأمثلة أن الرجل ليس عف اللسان مع الأئمة ولا مع أتباعهم، وهذه ظاهرة من ظواهر التعصب المذهبي»[1]، إلا أنه كان ينصف أحياناً ويؤيد خلاف مذهبه.

---

(١) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج٢ ص٤٥٤ ـ ٤٥٥.

طريقته في التفسير:

سلك فيه منهج التفسير الفقهي والتزم فيه المذهب المالكي، اقتصر على تفسير آيات الأحكام الفقهية. فيذكر السورة ثم يذكر عدد آيات الأحكام فيها ثم يأخذ في شرحها آية آية قائلاً الآية الأولى ثم يذكرها وفيها تسع مسائل (مثلاً) ثم يورد مسائل الآية واحدة واحدة مبيناً في هذه المسائل موضع نزولها وتاريخه وسببه إن وجد، ويذكر الأحاديث في فضلها إن ورد، ويبين القراءات الواردة فيها ويتحدث عن لغتها ونحوها ثم يفصل أحكامها ويعرض أقوال العلماء فيها وأدلتهم ويرجح غالباً مذهبه المالكي مع حدة لسانه ـ أحياناً ـ على المخالفين إلا أنه أحياناً أخرى يرجح غير مذهبه ويصرح بذلك[1].

٢ ـ عبد الحق بن عطية وتفسيره المحرر الوجيز:

وهو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي الأندلسي، ولد في غرناطة سنة ٤٨١ هـ ونشأ فيها وتربى في بيت والده، وهو بيت علم وفضل، فقد كان والده عالماً حافظاً رحل إلى المشرق في طلب العلم وسمع من كبار العلماء.

وابن عطية أحد أعلام الأندلس الحائزين على قصب السبق في الفقه والحديث والتفسير والأدب. عده أبو حيان من أَجَلّ من صنف في علم التفسير[2]. وتوفي رحمه الله تعالى في (لُوْرَقة) في الأندلس سنة ٥٤١ هـ.

تفسيره:

وهو (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) قال عنه ابن

---

(١) انظر مثلاً المرجع السابق: ج٢ ص٤٥٠، وانظر ابن العربي المالكي الأشبيلي وتفسيره أحكام القرآن: د. مصطفى المشيني، ص ٣١٩.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٩.

جُزَيّ الغرناطي رحمه الله تعالى: «وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر. محافظ على السنة»[1]، وقارن أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ بينه وبين الكشاف فقال: «وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص»[2] وقارن بينهما ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال: «وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري» ثم وصفه بأنه «يذكر ما يزعم أنه قول المحققين وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كان أقرب إلى السنة من المعتزلة»[3][4].

طريقته في التفسير:

أنه يذكر الآية في تفسيره ثم يفسرها بعبارة عذبه سهلة، يورد من التفسير بالمأثور، وينقل عن ابن جرير الطبري ويناقش المنقول أحياناً إلا أنه يدع ـ كثيراً ـ ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال وإنما يذكر ما يزعم أنه قول المحققين كما قال ابن تيمية[5]، وهو يكثر من الاستشهاد بالشعر العربي، ويحتكم إلى اللغة العربية عند توجيه بعض المعاني، ويهتم كثيراً بالصناعة النحوية، ويتعرض كثيراً للقراءات

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي، ج١ ص١٧.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص١٠.

(٣) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، ص٩٠.

(٤) اتهم ابن عطية بالاعتزال وهي تهمة باطلة اثبت بطلانها عدد من الباحثين، انظر منهج ابن عطية: د. فايد ص٢١٩ وما بعدها، وانظر المدرسة الأندلسية في التفسير د. زيد بن عمر، ص٦٦٠ ـ ٦٨٢.

(٥) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، ص٩٠.

المختلفة ويفسر بعضها ببعض[1].

وقد قامت وزارة الأوقاف المغربية بطبعه فصدرت بعض أجزائه سنة ١٣٩٥ هـ وصدر آخرها سنة ١٤١٢ هـ كما طبع في قطر على نفقة أميرها في خمسة عشر مجلداً كبيراً.

٣ ـ أبو عبد الله القرطبي وتفسيره الجامع لأحكام القرآن:

هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي الأندلسي ولد ونشأ في قرطبة ولا يعرف تاريخ مولده وتلقى العلم ورحل إلى مصر وتوفي فيها سنة ٦٧١ هـ.

تفسيره:

وصف القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ تفسيره فقال: يتضمن نكتاً من التفسير، واللغات، والإعراب، والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهده لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات جامعاً بين معانيهما، ومبيناً ما أشكل منهما، بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف إلى أن قال: ـ «وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها... وأضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، إلا ما لا بد منه ولا غنى عنه للتبيين، واعتضت من ذلك تبيين آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكماً أو حكمين فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول، والتفسير الغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل، هكذا إلى آخر الكتاب[2].

وبهذا يظهر أن تفسيره ـ رحمه الله تعالى ـ ليس تفسيراً لآيات الأحكام فحسب وإنما لجميع آيات القرآن وإن كان أولى آيات الأحكام تفصيلاً كاد

---

(١) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج١ ص٢٤٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٣.

يغني عن كتب الفقه المقارن لما فيه من عرض للآراء الفقهيه وسوق للأدلة.

وقد التزم المذهب المالكي إلا أنه لم يتعصب له بل يرجح ما يرى صوابه أياً كان قائله بل كان ينتقد موقف ابن العربي من مخالفيه ويدافع عنهم ويرد عليه.

٤ ـ ابن جزي الكلبي وتفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل):

هو: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، ولد سنة ٦٩٣ هـ ولد ونشأ في غرناطة، قال عنه المقري: «مشاركاً في فنون من عربية، وفقه، وأصول، وقراءات، وأدب، وحديث، حُفَظة للتفسير، مستوعباً للأقوال، جَمّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس ممتع المحاضرة»[(١)]. قتل ـ رحمه الله تعالى ـ في معركة طريف وهو يحرض الجيش سنة ٧٤١ هـ.

تفسيره:

يعد هذا التفسير من التفاسير الوجيزة بل إن المؤلف رحمه الله تعالى أشار إلى ذلك في مقدمته للتفسير[(٢)].

وقد بين ـ رحمه الله تعالى ـ مقاصده من تأليف هذا التفسير بأنها أربعة مقاصد تتضمن أربع فوائد:

الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلاً على الطالبين وتقريباً على الراغبين.

الثانية: ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة.

الثالثة: إيضاح المشكلات.

الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح.

---

(١) نفح الطيب: المقري، ج٨ ص٢٩.

(٢) التسهيل: ابن جزي، ج١ ص٤.

ثم بين منهجه في نقل الأقوال بأنه لا ينسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلاً وعلل ذلك بقلة صحة إسنادها إليهم أو اختلاف الناقلين في نسبتها إليهم. وإذا ذكر قولاً دون حكاية قوله عن أحد فهي إشارة إلى تقلده له ورضاه عنه. وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم يذكره تنزيهاً للكتاب وربما ذكره للتحذير منه[1].

٥ ـ أبو حيان وتفسيره البحر المحيط:

هو: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي، ولد في غرناطة سنة ٦٥٤ هـ، ونشى فيها وتلقى العلوم عن شيوخها ثم تنقل في الأندلس وأفريقيا ثم إلى مصر وأخذ عن علمائها، قال عن رحلاته (وارتحل من بلد إلى بلد حتى ألقيت في مصر عصا التسيار)[2]. وتوفي فيها ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ٧٤٥ هـ قال عنه الداودي: «نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه»[3].

طريقته في التفسير:

وقد بين أبو حيان طريقته في تفسيره بقوله: «أني ابتدىء أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب.. ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها.. مجتهداً أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق ولا في جملة ولا في آية بل

---

(١) المرجع السابق: ج١ ص٤ ـ ٥.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٤.

(٣) طبقات المفسرين: الداودي، ج٢ ص٢٨٦.

أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية ناقلاً أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني محيلاً على الدلائل التي في كتب الفقه.. منكباً في الأعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها. ثم أختم الكلام بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني ملخصاً جملها.. وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير.. وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ وتجنبت كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ وتركت أقوال الملحدين الباطنية[1].

هؤلاء الخمسة هم أشهر مفسري الأندلس[2] الذين وصلت إلينا تفاسيرهم وهم يرسمون - بحق - معالم مدرسة للتفسير مستقلة لها منهجها وصبغتها وخصائصها بل احتلت مكان الصدارة بين المفسرين في المشرق والمغرب. فتفسير أبي حيان من أفضل التفاسير في عرض القراءات القرآنية والدفاع عنها وتوجيهها وهو تفسير أندلسي، وتفسير ابن العربي والقرطبي أفضل وأشهر تفاسير آيات الأحكام القرآنية حتى يومنا هذا وهما أندلسيان، وتفسير ابن عطية من خير التفاسير وأفضلها وأثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً وهو أندلسي.

حتى ما لم يصل إلينا وهو تفسير بقي بن مَخْلَد قال عنه ابن حزم «فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا استثني فيه، أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره»[3].

---

(١) نقلته بتصرف من مقدمة تفسيره: ج١ ص٤ - ٥.

(٢) ذكر د. زيد بن عمر في رسالته المدرسة الأندلسية في التفسير ٨٦ مفسراً أندلسياً وترجم لهم بإيجاز، انظر ص ٤٢٠.

(٣) نفح الطيب: المقري، ج٤ ص١٦٢، تذكرة الحفاظ: الذهبي، ج٢ ص٦٢٩.

منهجها في التفسير

قلنا إن ما ذكرنا من تفاسير الأندلس يرسم بحق معالم مدرسة خاصة للتفسير تتميز بمزايا وإن اشتركت معها في بعضها مدارس أخرى لكن مجموع هذه الخصائص يعطي صورة صادقة لمنهج خاص ينبىء عن مكانة هذا الجزء من البلاد الإسلامية ومنزلته وتأثره وتأثيره في الأمة الإسلامية وأنه يشكل قلباً نابضاً وشرياناً من شرايين الدولة الإسلامية أدرك الأعداء أهميته فسعوا لبتره ودأبوا لقطعه فهل ينجح الطب يوماً في وصله.

المنهج الأثري:

لا شك أن أفضل أنواع التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن بأقوال الرسول ﷺ ثم بأقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وهذا هو ما يسمى بالتفسير بالمأثور.

وقد اعتمد رجال المدرسة الأندلسية التفسير بالمأثور وأنزلوه منزلته وعرفوا فضله إلا أن اعتمادهم له لم يكن عملاً آلياً يخلو من النظر والتفكر، والموازنة والترجيح، بل كانوا ينقلون نقل المنقح المتدبر المتأمل المتفكر، فقد جعلوا القرآن نفسه العمدة في تفسير آياته وتحديد مقاصده وبيان أغراضه ورجعوا إليه في بيان الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية والقضايا العقدية بل نتج عن هذا اهتمام خاص

بالقراءات والعناية بها كما سيرد بيانه إن شاء الله تعالى.

وأدركت المدرسة مكانة الحديث عامة والتفسير النبوي خاصة وأهمية ذلك بل جمعت المدرسة الأندلسية في تفسيرها كما يقول ـ بعض الباحثين ـ كل ما ورد عن رسول الله ﷺ من أحاديث تبين المحكم وتشرح المبهم وتفسر اللفظ المشكل وتبين الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد وما شابه ذلك[1].

وعلى الرغم من قول القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث فيبقي من لا خبرة له حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة والأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام»[2]، وقول ابن العربي: «ولقد ألقيت إليكم وصيتي في كل وقت ومجلس ألا تشتغلوا من الأحاديث بما لا يصح سنده»[3]، وعلى الرغم من دعوة ابن جزي إلى ضرورة ضبط الحديث بالرواية[4] وانتقاد ابن حيان لبعض المفسرين لذكرهم ما لا يصح من الأحاديث[5].

على الرغم من هذه الدعوة وهذا التأصيل إلا أن رجال المدرسة لم يلتزموا به التزاماً كاملاً وتمثل هذا في أربع صور:

---

(١) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر، ص٥١٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٣.
(٣) أحكام القرآن: ابن العربي، ج٢ ص٥٨٣.
(٤) التسهيل: ابن جزي، ج١ ص٧.
(٥) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٥.

الأولى: إيراد بعض الأحاديث من السنن وغيرها دون بيان لسندها أو ذكرٍ لراويها أو التعقيب عليها بالصحة أو الضعف. فابن عطية[١]، وابن جزي[٢]، وأبو حيان[٣] ينقلان الأحاديث عن السنن دون التعقيب عليها بالصحة أو الضعف ـ كثيراً والقرطبي[٤] ـ أحياناً ـ وابن العربي ـ نادراً ـ[٥].

الثانية: اختصار الحديث وذكر موضع الشاهد وهذا الأسلوب كان ظاهرة في تفاسير المدرسة الأندلسية حيث يذكرون موضع الشاهد منه أو ما يناسب المقام[٦].

الثالثة: رواية الحديث بالمعنى ـ أيضاً ـ كان من مسالك المدرسة الأندلسية في التفسير حاشا ـ ابن العربي ـ الذي كان لا يجيز ذلك لغير الصحابي[٧] وأجازه القرطبي ورد على ابن العربي[٨].

الرابعة: وهي أخطر هذه الصور وهي رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة من غير بيان أحياناً لضعفها وإن كان ذلك قليلاً[٩]،

---

(١) منهج ابن عطية في التفسير: عبد الوهاب فايد، ص١٣١.
(٢) ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي الزبيري، ج١ ص٤٠٢.
(٣) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر عبد الله، ج٢ ص٥١٩.
(٤) مدرسة التفسير في الأندلس: مصطفى إبراهيم المشيني، ص١٩٧، والمدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر، ج٢ ص٥٢٩.
(٥) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر، ج١ ص١٣٩، ١٤٠.
(٦) المرجع السابق: ج٢ ص٥٤٣ و٥٤٨؛ ومدرسة التفسير في الأندلس: المشيني، ص١٤٨؛ وانظر ابن جزي ومنهجه في التفسير، ج١ ص٤٠٧.
(٧) أحكام القرآن: ابن العربي، ج١ ص٢٢.
(٨) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٤١٢.
(٩) المرجع السابق: ج٢ ص٥٣٢، ومنهج ابن عطية في التفسير: ص١٣١ و ١٣٣.

فحديث تصدق علي ـ رضي الله عنه ـ بخاتمه وهو راكع ذكره ثلاثة من رجال المدرسة. في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1] هم: ابن عطية والقرطبي وابن جزي بل بنى عليه القرطبي أحكاماً كجواز العمل القليل في الصلاة وإطلاق اسم الزكاة على صدقة التطوع[2] وعده ابن جزي سبباً لنزول الآية[3].

وكما ترى فإن ما ذكرت لا ينفي كثرة الاستشهاد والتفسير بالحديث النبوي بل إن تفسير ابن جزي وهو من أصغرها حجماً يحتوي على ثروة من الحديث ـ كما قال أحد الباحثين ـ لو اقتصر شخص على تخريجها لخرج برسالة قيمة في علمي الحديث والتفسير[4].

وهذا ينبئك بعناية المدرسة الأندلسية بالتفسير بالسنة وهو أحد قواعد التفسير بالمأثور.

أما التفسير بأقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فقد اعتنى به رجال المدرسة الأندلسية وأكثروا من الرواية عنهم إلا أن موقفهم من أقوال الصحابة في التفسير لم يكن القبول المطلق بل النقد والتمحيص، ولم يكن النقد والتمحيص متجهاً إلى السند كما فعلوا في الحديث وإنما اتجه إلى المتن ما لم يكن قول الصحابي فيما ليس للرأي فيه مجال فيعرضونه على قواعد الشرع العامة وأصول التفسير وقواعده[5]،

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٥٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٦ ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي، ج١ ص٣٢٥.

(٤) ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي الزبيري، ج١ ص٤٠٢.

(٥) انظر مثلاً رد القرطبي وابي حيان وابن جزي لما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ التوبة: ١٢ أنهم زعماء قريش. فردوه مستندين إلى تاريخ النزول حيث نزلت سورة برآءة بعد استئصال شأفة قريش.